@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الثالث من زمن العنصرة: الروح يعلّم

الأخت دولّي شعيا (ر.ل.م.)

(١ قور ٢: ١-١٠)

١ وأَنَا، أَيُّهَا الإِخْوَة، لَمَّا أَتَيْتُكُم لأُبَشِّرَكُم بِسِرِّ اللهِ، لَمْ آتِ بِبَرَاعَةِ الكَلاَمِ أَوِ الحِكْمَة؛
٢ لأَنِّي قَرَّرْتُ أَنْ لا أَعْرِفَ بَيْنَكُم شَيْئًا إِلاَّ يَسُوعَ المَسِيح، وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا!
٣ وقَدْ جِئْتُ إِلَيْكُم بِضُعْفٍ وَخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ شَدِيدَة.
٤ ولَمْ يَكُنْ كَلامِي وَتَبْشِيري بِكَلِمَاتِ الْحِكْمَةِ والإِقْنَاع، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالقُدْرَة،
٥ لِئَلاَّ يَكُونَ إِيْمَانُكُم قَائِمًا عَلى حِكْمَةِ النَّاس، بَلْ عَلى قُدْرَةِ اللهِ.
٦ غَيْرَ أَنَّنَا نَنْطِقُ بِالحِكْمَةِ بَيْنَ الكَامِلين، ولكِنْ لا بِحِكْمَةِ هذَا الدَّهْر، ولا بِحِكْمَةِ رُؤَسَاءِ هذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ مَصِيرُهُم إِلى الزَّوَال.
٧ بَلْ نَنْطِقُ بِسِرِّ حِكْمَةِ اللهِ المَحْجُوبَة، الَّتي سَبَقَ اللهُ فَحَدَّدَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا.
٨ وهيَ الحِكْمَةُ الَّتي لَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ هذَا الدَّهْر، لأَنَّهُم لَوْ عَرَفُوهَا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ المَجْد.
٩ ولكِنْ، كَمَا هوَ مَكْتُوب: "مَا لَمْ تَرَهُ عَيْن، ولَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُن، ولَمْ يَخْطُرْ عَلى قَلْبِ بَشَر، قَدْ أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ".
١٠ لكِنَّ اللهَ أَعْلَنَهُ لَنَا بِرُوحِهِ، لأَنَّ الرُّوحَ يَسْبُرُ كُلَّ شَيءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ.

مقدّمة

في هذا الأحد، نبدأ مع الكنيسة التأمُّل بإعلان البشارة، الَّتي هي رسالة كلّ من نال الرُّوح القدس بالعماد، وآمن بالثَّالوث الأقدس، ويسير بمقتضى وصيَّة يسوع: "أن يحفظ كلَّ ما أوصانا به" (متَّى ٢٨: ٢٠). لذلك يُعلن بولس الرسول في رسالة اليوم، أنَّ هذه البشارة لا ترتكز على قوَّة الانسان، بل على ضعفه الَّذي يعمل فيه الرُّوح القدس. والبرهان على ذلك أنَّه لم يعرف شيئًا "إلَّا يسوع المسيح، وإيَّاه مصلوبًا" (١ قور ٢: ٢).

ما إن واجه بولس الانشقاق في كنيسة قورنتس، حتّى بدأ بتحديد السبب الكامن وراءه: كانت مجموعاتٌ متنافسة قد تكوَّنت على أساس تفضيلها بعض المبشّرين وأساليب تعليمهم، وقد استخدمت المعايير الشعبيَّة الَّتي تنطبق على فلاسفة المجتمع القائم لتقييم شهادة الرسل والمبشّرين. وقد أدَّى ذلك إلى اضطرابٍ داخل الكنيسة. لذا اهتمّ بولس بإجراء مقارنة بين حكمة العالم وحكمة الله.

كان اللّٰه قد أظهر قوَّة النعمة من خلال موت يسوع على الصليب. لكنَّ حكمة اللّٰه، كما كان متوقَّعًا، لم تكن جذَّابة كثيرًا للَّذين كانوا يرغبون في أن تكون لهم قوَّةٌ ونفوذٌ في العالم.

شرح الآيات

١ وأَنَا، أَيُّهَا الإِخْوَة، لَمَّا أَتَيْتُكُم لأُبَشِّرَكُم بِسِرِّ اللّٰه، لَمْ آتِ بِبَرَاعَةِ الكَلاَمِ أَوِ الحِكْمَة؛

لقد مضى حوالي ثلاث سنوات منذ زيارة الرسول بولس إلى قورنتس. وغالبًا ما تكون المحافظة على الاستقرار في التَّعليم والسلوك، أمرًا صعبًا في جماعةٍ كنسيَّة جديدة. لذا، في غياب بولس، كانت طرق الثقافة الوثنيَّة قد امتدَّت لتحلَّ مكان ما قد بشَّر به بولس في قورنتس. كان بولس يُدرك أنَّ الرسالة والرسول مرتبطَين ارتباطًا وثيقًا في أذهان أهل قورنتس. لذلك، حوَّل الانتباه من التباين بين "جهالة اللّٰه" و"حكمة العالم" (١ قور ١: ٢١-٢٥)، إلى نفسه شخصيًّا، وإلى تعليمه الأوليّ لجماعة قورنتس.

لم تكن كرازة بولس بتظاهر، ولم يلجأ إلى "براعة الكلام أو الحكمة" أو الأساليب البلاغيَّة الَّتي استخدمها السفسطائيُّون في المجتمع، بل بشَّر باستقامة.

٢ لأَنِّي قَرَّرْتُ أَنْ لا أَعْرِفَ بَيْنَكُم شَيْئًا إِلاَّ يَسُوعَ المَسِيح، وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا!

كلّ ما علَّمه بولس كان منسجمًا مع الحقيقة المركزيَّة لرسالته ومنبثقًا منها، ألا وهي "يسوع المسيح، وإيَّاه مصلوبًا". اختار بولس بوعيٍ أن يقف على الرسالة الَّتي كان يعرف أنَّ حكماء هذا العالم سيزدرونها. لم يكن هدفه تعزيز مكانته الشخصيَّة، ولم يقبل المساومة بالإنجيل؛ إنَّما اختار أن يتكلَّم وفقًا لما أعطاه اللّٰه من أجل تقديس أهل قورنتس.

لقد كان صَلْبُ يسوع المسيح من أجلهم، مجدًا لهم. لذا، سماحُهم لحكماء هذا الدهر بأن يغزوهم، هو بمثابة رفضهم لحكمة اللّٰه.

٣ وقَدْ جِئْتُ إِلَيْكُم بِضُعْفٍ وَخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ شَدِيدَة.

لم يقدّم بولس نظريَّات مجرَّدة عن الحكمة. لكنَّه ومن دون تردُّد، أجرى مقارنة بينه وبين الحنكة السلسة الَّتي كان يتوقَّعها أهل قورنتس من الفلاسفة المحترفين والبليغين. خلافًا لهم، كان هو مستعدًّا لأن يُبيّن "ضعفه وخوفه ورعدته الشديدة". بولس الَّذي علَّمهم الإنجيل، لم يكن بطلًا ولا خطيبًا فصيح اللّسان، ولا معلّمًا مشهودًا له، بل جاء بضعفٍ، وبقوَّة الصليب.

لكي يضيف بولس قوَّةً إلى كلامه، ذكَّر قرَّاءه بوصوله إلى قورنتس لأوَّل مرَّة (الأحداث الموجَزة في الفصل الثامن عشر من سِفر أعمال الرسل). كان قد سافر إلى قورنتس، فيما

كان طيموتاوس وسيلاد في مقدونية (تسالونيكي وفيليبّي) يبنيان الكنائس هناك. كان بولس قد وصل إلى قورنتس وحده. لذا، عمل على تذكير المسيحيّين هناك بتلك الأيّام الأولى، حتّى يستطيعوا أن يشهدوا لذلك الانسان الّذي لم يأتِ بأيّة مؤهّلاتٍ من الحكمة والفصاحة، بل بمنطق الحكمة الإلهيّة.

٤ ولَمْ يَكُنْ كَلامِي وَتَبْشِيري بِكَلِمَاتِ الْحِكْمَةِ والإِقْنَاع، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُدْرَة.

إستخدم بولس هنا كلمَتين: "الكلام" و"التبشير". فالكلمَتان "كلامي وتبشيري" عند جمعهما معًا، تقدّمان ملء التّعبير الّذي أراد بولس إيصاله. فإنّ تعليمه لم يكن "بكلمات الحكمة والإقناع"، كما لم يُقدّمه بالفصاحة الّتي اعتاد أهل قورنتس على سماعها من السفسطائيّين الّذين كان يجتازون المدينة. على عكس ذلك، كانت كرازة بولس مصحوبةً "ببرهان الرُّوح والقدرة"، أي بشهادة الروح القدس. فليست التعابير البلاغيّة هي الّتي تثبّت حقيقة ما علّم به بولس أهل قورنتس.

لا يقف بولس بمعزلٍ عن الرسالة الّتي كان ينادي بها. فهو نفسه، وشخصيّته، وسمعته، وعلاقته بالله، ورجاؤه في المسيح، كانت كلُّها جزءًا لا يتجزّأ من الرسالة الّتي كان قد كرز بها في قورنتس.

٥ لِئَلاَّ يَكُونَ إِيْمَانُكُم قائِمًا عَلى حِكْمَةِ النَّاس، بَلْ عَلى قُدْرَةِ الله.

إنتقل بولس من الكلام على "كرازته وتبشيره" (١ قور ٢: ٥)، إلى إيمان أهل قورنتس. كان قد علّمهم وتصرّف بالكيفيّة الّتي تصرّف بها "لئلّا يكون إيمانهم قائمًا على حكمة النّاس، بل على قدرة الله" ليخلُصوا.

كان الروSح القدس مصدر حكمة بولس (راجع ١ قور ٢: ١٠)، وهذا الروح يمنح أهل قورنتس حكمةً بطريقته الخاصّة. فإنّهم معًا يتشاركون بثمار الفداء على الصّليب. وإن فعلوا ذلك، فإنّ الانشقاقات والولاءات التحزُّبيّة ستنحلّ.

٦ غَيْرَ أَنَّنَا نَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ بَيْنَ الكَامِلين، ولَكِنْ لا بِحِكْمَةِ هذَا الدَّهْر، ولا بِحِكْمَةِ رُؤَسَاءِ هذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ مَصِيرُهُم إِلى الزَّوَال.

حدثت تحزُّبات في كنيسة قورنتس لأنّ الحكمة فُهِمَت بطريقةٍ خاطئة. لم يتخلَّ بولس عن كلمة "حكمة"، لأنّ "حكمة الله" (١ قور ١: ٢١) هي الّتي دعمت الإنجيل. فحكمة الله هي "المسيح، وإيّاه مصلوبًا" (١ قور ١: ٢٣، ٢٤). كان فداء أهل قورنتس شهادةً على "حكمة الله" (١ قور ١: ٣٠)، ولكنّ "رؤساء هذا الدهر" (١ قور ٢: ٦) قد اخترعوا صورةً مزيّفة لحكمة الله. أمّا بولس، فقد اختار حكمة الله المبنيّة على "المسيح المصلوب" (١ قور ٢: ٢)، الّتي من

شأنها أن تُخمد الانشقاقات الصغيرة الَّتي تجعلهم مضطربين.

٧ بَلْ نَنْطِقُ بِسِرٍّ حِكْمَةِ اللهِ المَحْجُوبَة، الَّتي سَبَقَ اللهُ فَحَدَّدَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا.
لم تكن الحكمة الَّتي ينادي بها بولس شيئًا سريًّا يجب اكتشافه، لأنَّ الله نفسه هو الَّذي أعلن "السرّ الَّذي كان مكتومًا منذ الدهور" (قول ١: ٢٦)، عن طريق الصليب ليفتح الباب، بيسوع، لجميع النَّاس (راجع ١ قور ١: ٣٠). "حكمة الله المحجوبة" لم تكن معروفة في الماضي؛ ولكنْ الآن، وببشارة الإنجيل، أصبحت مكشوفة للعالم.
اختار بولس كلمة "سرّ" (mustêrion) بوعي، وهو مصطلحٌ له أهميَّةٌ خاصَّة في العالم النَّاطِق باللغة اليونانيَّة آنذاك. كانت هناك سمةٌ قديمة للدّين الإغريقيّ تتمثَّل في مراسم سريَّة للَّذين يدخلون طوائف لآلهةٍ أو لآلهاتٍ معيَّنين. كان الإغريق يسمُّون هذه الطقوس الشعائريَّة بـ "أسرار" أو "ديانات سريَّة".
كان بولس حريصًا في قوله بأنَّ التبشير بالمسيح لم يهبط فجأةً على العالم، بل إنَّ خطَّة الله لخلاص كلٍّ من الأمم واليهود، بالمسيح المتأنّم، كانت منذ الدهور. بهذا المفهوم، كان الله قد "سبق فحدَّد قبل الدهور" هذا العمل.

٨ وهيَ الحِكْمَةُ الَّتي لَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ هذَا الدَّهْر، لأَنَّهُم لَوْ عَرَفُوهَا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ المَجْد.
الحكمة الَّتي رافقت بولس في كرازته بالصَّليب، كانت مختلفةً عن تلك الَّتي قدَّمها الفلاسفة المعاصرين في ذلك الزمان. فالخطباء المتجوّلون في السُّوق، الَّذين يكرههم البعض، والبعض الآخر يُعجب بهم، إلى جانب "رؤساء هذا الدهر"، قد أظهروا جهلهم لحكمة الله عندما "صلبوا ربَّ المجد". كان ينبغي على المسيحيّين في قورنتس أن يقدّموا جماعة واحدة واقفة تحت راية الصليب. لكنَّ جهلهم أدّى بهم إلى التهكُّم.

٩ ولكِنْ، كَمَا هوَ مَكْتُوب: "مَا لَمْ تَرَهُ عَيْن، ولَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُن، ولَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَر، قَدْ أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ".
مصدر هذا الاقتباس غير معروف تمامًا؛ قد يكون ترجمةً حرَّة لما ورد في سفر أشعيا (٦٤: ٤)، على الرغم من أنَّ النقطتَين اللَّتين أدلى بهما أشعيا وبولس مختلفتَان إلى حدٍّ كبير. من المرجّح أن يكون بولس قد اختار أجزاءً من المرجع المذكور أعلاه من أشعيا النبيّ، بسبب صلتها بالموضوع الَّذي كان يكتب عنه، ووسَّع الفكرة كما أراد، بقدر ما رأى ذلك مناسبًا. لم يَقُل بولس أبدًا إنّ السياق الوارد في سفر أشعيا يعلّم قرَّاءه الفكرة نفسها الَّتي أراد أن يفهمها أهل قورنتس، بل لجأ بولس إلى الكلام الوارد في سفر أشعيا عن "ما لم تره عين،

ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر"، ليربطه بالوضع في قورنتس.
كلمات أشعيا ساعدت بولس على إيصال حقيقَتَين: أوَّلًا، أكَّد أنَّ حكمة اللّٰه المُعلَنة في رسالة المسيح المصلوب قد سبقت فأدَّت إلى بركاتٍ لشعب اللّٰه فوق ما يتخيَّل البشر؛ ثانيًا، ما زال هناك المزيد من البركات ممَّا "أعدَّه اللّٰه للَّذين يحبُّونه".
العبارة اليونانيَّة المترجمة في هذه الآية بـ "قلب بشر" (kardían anthrôpou)، تعني حرفيًّا "قلب الانسان". تحدَّث بولس مجازيًّا، كبقيَّة الناس الَّذين كانوا يعيشون في ذلك الزمان، عن القلب كمركز الفكر البشريّ. وكان معاصروه يعتبرون الأمعاء، وفي بعض الحالات الكِلى، كمقرٍّ للمشاعر. كان القلب يرمز إلى الحياة الداخليَّة بكاملها، بما في ذلك الفكر والإرادة.

١٠ لـكِنَّ اللّٰهَ أَعْلَنَهُ لَنَا بِرُوحِهِ، لأَنَّ الرُّوحَ يَسْبُرُ كُلَّ شَيءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللّٰه.

استعار بولس هذه الصياغة من أشعيا لإقناع قرَّائه بأنَّ الحكمة "بين الكامِلين" (١ قور ٢: ٦)؛ أي النَّاضجة، الَّتي قبلها المسيحيُّون، تفوق بشكلٍ لا يُقاس الحكمة الَّتي يُمارسها "رؤساء هذا الدهر" (١ قور ٢: ٦، ٨). تفوُّقها هذا، مُستمَدٌّ من كَون اللّٰه هو الَّذي "أعلن لنا بروحه، لأنَّ الروح يسبر كلَّ شيءٍ حتَّى أعماق اللّٰه".

خلاصة روحيّة

استند اليونانيُّون إلى فنّ الخطابة والبلاغة للإقناع والبرهان. لكنَّ بولس، الَّذي أتقن ذلك الفنّ كأترابه، لم يستعمله في قورنتس، لأنَّه أيقن أنَّ حكمة البشر لا توافق حكمة اللّٰه، وأنَّ منطق البشر لا يتَّحد بمنطق اللّٰه إلَّا بقوَّة الروح القدس الَّذي هو عطيَّة اللّٰه. لذا، لم يعرف بولس إلَّا "يسوع المصلوب" الَّذي أُسلِم إلى أيدي البشر وهو "ربّ المجد"؛ إنَّه يسوع الَّذي لم يُعلن ملكوته ببليغ الكلام، بل بشهادة حياته ودمه.

غريبٌ أن يقول بولس، الَّذي أتقن البلاغة، "جئتُ إليكم بضعفٍ وخوفٍ ورعدةٍ شديدة" (١ قور ٢: ٣). فالبليغ لا يخاف التكلّم مع الجموع، لأنَّه مقتنع. لكنَّ بولس لم يُرِد يومًا أن يكون ممتلئًا من ذاته، بل، ممتلئًا من الروح القدس الَّذي يكمّل الضعف، ويحوّل المنطق البشريّ، إلى آخر إلهيّ. فلو كان إيمان بولس مستندًا إلى الحكمة البشريَّة، لكان تبشيره مجهودًا عقليًّا يُرضي العقول ويترك القلوب باردةً فارغة. لذا اتَّكل على قدرة اللّٰه، الَّذي يهب الحياة بروحه المُحيي، ويملأ القلوب فرحًا وسلامًا.